

عواقب الظلم وثمرات الرفق بالنساء والاطفال

«سبايا العترة الطاهرة نموذجاً»



مباحث الموضوع	الهدف
١- معنى الظلم لغة وعرفاً وشرعاً	اظهار قبح الظلم وان من غايات عاشوراء مواجته
٢- أنواع الظلم	تصدير الموضوع
٣- ظلم الحكام	عن الامام الحسين: «واني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً» ^(١)
٤- عواقب الظلم	(١) البحار ج ٤، ص ١٩٢

تمهيد

الظلم لغة: قال الراغب: والظلم عند أهل اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه.

أما عرفاً: فالظلم معناه بخس الناس أشياءهم وحقوقهم والاعتداء على الغير بأي صورة كانت سواء قولاً أو عملاً.

وأما شرعاً: الظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي.^(١)

أنواع الظلم

يتنوع الظلم صوراً تُشير إليها إشارة لأمحة:

١. أول ما يتبادر إلى الذهن من أنواع الظلم هو ظلم الآخرين: سواء الظلم الفردي أو الاجتماعي، كأن يظلم الإنسان صديقه أو قريبه أو زوجته وأولاده أو تلاميذه، أو كأن تظلم جماعة جماعة أخرى أو دولة دولة أخرى- مثال ظلم إسرائيل للشعوب العربية والإسلامية وظلم الاستعمار للامة الإسلامية وفي عصرنا ظلم امريكا للجمهوروية الإسلامية-، أو كأن يظلم حاكم رعيته، أو رئيس مرؤوسيه أو مدير موظفيه.

وأشع المظالم الاجتماعيّة، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صدّ العدوان عنهم، ولا يملكون إلا

الشكاة والضراعة إلى العادل الرحيم في أساهم وظلاماتهم.

فمن الامام الباقر عليه السلام قال: «لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة، ضمّني إلى صدره، ثم قال: «يا بُنَيَّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، ومما ذكر أن أبيه أوصاه، قال: يا بُنَيَّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله تعالى»^(٢).

ومن امثلة هذا الظلم ظلم الاطفال والنساء في كربلاء، وما أشبه الانسان الذي يظلم أطفاله أو زوجته بأخلاق اليزيديين.

٢- ظلم الإنسان نفسه: وهناك نوع من الظلم لا يلتفت إليه الكثير من الناس، وهو ظلم النفس، حيث يحسب الكثير منهم أنهم أحرار اتّجاه ذواتهم، فيسيئون إليها بأن يضعوها في المواقف التي لم يُرد الله لهم أن يضعوها فيه، وأن يبخلوا حقها، ويمتدوا عليها. وبكلمة مختصرة ظلم النفس يتحصّل بعضيان الله وعدم طاعته.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ظلم نفسه من عصى الله وأطاع الشيطان»^(٣).

ومن يظلم نفسه التي هي أحب إليه من أي شيء سيظلم غيره، يقول الأمير عليه السلام: «كيف يعدل في

غيره من يظلم نفسه»^(٤).

عجبت لمن يظلم نفسه كيف يُنصف غيره»^(٥).

ولكنّ ظلم الآخرين أكثر تعقيداً، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله».

فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾.

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء الله.

وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة^(٦).

ظلم الحكام

(وبما أننا في أجواء عاشوراء من المناسب التركيز على ظلم الحكام وهذا ما ابتلي به امامنا الحسين عليه السلام بحاكم ظالم الا وهو يزيد)

وذلك باستبدادهم، وخنقهم حرية الشعوب، وامتحان كرامتها، وابتنزاز أموالها، وتسخيرها

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٧٨١.

(٥) م. ن.، ص ١٧٨١.

(٦) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٥٦.

(٢) الوافي، ج ٣، ص ١٦٢، عن الكافي.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٧٨١.



(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي: ج ٤ ص ٢٣٠.

لمصالحهم الخاصة. من أجل ذلك كان ظلم الحكام أسوأ أنواع الظلم وأشدّها نكراً، وأبلغها ضرراً في كيان الأمة ومقدراتها.

وعن الإمام الصادق عن أبياته عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلم النار يوم القيامة ثلاثة: أميراً، وقارناً، وذا ثروة من المال. فتقول للأمير: يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل، فتزدره كما يزدر الطير حبّ السمسم».

وتقول للقارئ: يا من تزين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدره. وتقول للغني: يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة فيضاً، وسأله الحقير اليسير قرضاً فأبى إلا بخلًا فتزدره»^(١).

وليس هذا الوعيد الرهيب مقصوراً على الجائرين فحسب، وإنما يشمل من ضلع في ركابتهم، وارتضى أعمالهم، وأسهم في جورهم، فإنه وإياهم سواسية في الأثم والعقاب، كما صرحت بذلك الآثار: قال الإمام الصادق ﷺ: «العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم»^(٢).

عواقب الظلم:

بديهي أنّ استبشاع الظلم واستنكاره، فطري في البشر، تأباه النفوس الحرّة، وتستमित في كفاحه وقمعه، وليس شيء أضّرّ بالمجتمع، وأدعى إلى تسيبه ودماره من شيوع الظلم وانتشار بوائقه فيه.

فالإغضاء عن الظلم يشجع الطغاة على التماذي في الغيّ والإجرام، ويحفّز الموتورين على الثأر والانتقام، فيشيع بذلك الفوضى، وينتشر الفساد، ونحن ذاكرون لكم بعض عواقب الظلم في الدنيا والآخرة:

١- هلاك وخراب وضعف

الأمم وزوالها

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا

مُضْلِحُونَ﴾^(٣)
﴿وَلَقَدْ أَمَلْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾^(٤).

وعن الإمام علي ﷺ: «الظلم يزل القدم، ويسلب النعم ويهلك الأمم»^(٥).

وهذا ما جرى بحكام بني أمية الذين ظلّموا ابن بنت رسول الله ﷺ وأهل بيته واصحابه فإن حكمهم زال ولو بعد حين.

عن الإمام الباقر ﷺ: «أملّى الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فكان بين أن قال الله تعالى لموسى وهارون: «قد أجيبت دعوتكما» وبين أن عرفه الإجابة أربعين سنة. ثم قال: قال جبرئيل ﷺ: نازلت ربي في فرعون منزلة شديدة، فقلت: يا رب تدعه وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ فقال: إنما يقول هذا عبد مثلك»^(٦).

٢- عدم استجابة الدعاء

عن الإمام الصادق ﷺ: «قال: قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لا أجيّب دعوة مظلوم دعائي في مظلمة ظلمها ولا أحد عنده مثل تلك المظلمة»^(٧).

٣- عدم الهداية والضلال

﴿وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ﴾^(٨).
عن رسول الله ﷺ: «يا أيكم والظلم، فإنه يخرب قلوبكم»^(٩).

٤- لا يحبهم الله والناس
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّٰهُ لَا يَحِبُّ الظّٰلِمِينَ﴾^(١٠).

عن الإمام علي ﷺ: «يا أيك والظلم، فمن ظلم كرهت أيامه»^(١١).

٥- لعنة الله ولو كان في صلاته

(٣) هود: ١١٧.

(٤) يونس: ١٣.

(٥) غرر الحكم: ١٧٣٤.

(٦) نور الثقلين: ٢ / ٣٩٤ / ٢٠٦ / ٥٠٠ / ٢١ / ٥٠٠.

(٧) الوسائل، ج ٧، ص ١٤٦، ب ٦٨، ح ١.

(٨) البقرة: ٢٥٨.

(٩) كنز العمال: ٧٦٣٩.

(١٠) آل عمران: ٥٧.

(١١) غرر الحكم: ٢٤٨، ٦.

عن رسول الله ﷺ: «أوحى الله عز وجل إلي: يا أبا المرسلين! يا أبا المنذرين! أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسن صادقة، وأيد نقيّة، وفروج طاهرة، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامه فإني ألعنه ما دام قائماً بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامه إلى أهلها»^(١٢).

٦- عدم الفلاح

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظّٰلِمُونَ﴾^(١٣).

٧- ظلمات القيامة

عن رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة»^(١٤).

٨- استبدال الحسنات بسيئات المظلوم

عنه ﷺ: «إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرتّه حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار»^(١٥).

خاتمة

لقد جابه الإمام الحسين ﷺ الظلم بقوله وفعله وجهاده ودمه وروحه وأرواح أهل بيته واصحابه، ولم ير الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً، هذا هو درس عاشوراء أن نجابه الظلم في أنفسنا لنجابهه خارجها.

وقد أنابت زينب ﷺ يزيد حين خاطبته بزواله لظلمه فقالت: «ولتودن أنك شلت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت» اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظالمنا، وأحل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماقتنا «فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحملك، ولتودن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويملع شعثهم، ويأخذ بحقهم...»^(١٦)

(١٢) كنز العمال: ٤٣٦٠٠.

(١٣) الأنعام: ٢١، يوسف: ٢٣.

(١٤) الكافي: ٢ / ٣٢٢ / ١١.

(١٥) نهاية البداية والنهاية: ٥٥ / ٢.

(١٦) البحار ج ٤٥ ص ١٣٤.